نداء أهل القبلة

أمة واحدة ومصير مشترك

﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52]

تصدير

إن هذا النِّداء "نداء أهل القبلة" هو تعبير عن أمل صادق تتشاركه مكوِّنات الأمَّة الإسلاميَّة كلِّها، ممثَّلة في علمائها، ورموزها ومرجعيَّاتها الدينيَّة والفكريَّة؛ أملٍ في تجاوز حال الفرقة بين أبنائها بتعدُّد مدارسهم واختلاف مذاهبهم، إلى التَّفاهم على ما يجمعهم ويوحِّد كلمتهم في الاستجابة للتَّحديات المشتركة التي تواجههم.

وقد تجسَّد هذا الأمل في مبادرة عمليَّة، تمثَّلت في دعوة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطَّيِّب، شيخ الأزهر الشريف رئيس مجلس حكماء المسلمين، التَّاريخيَّة للحوار الإسلامي الإسلامي في كلمته خلال ملتقى البحرين للحوار المنعقد في نوفمبر 2022، فمثَّلت هذه الدَّعوة التاريخيَّة منطلقَ حركةٍ من العمل الدَّؤوب والمتواصل لمجلس حكماء المسلمين، إعدادًا لمؤتمر جامع بين علماء الأمَّة ومرجعيَّاتها من مختلف المذاهب الإسلاميَّة، ينطلق من خلاله مسار الحوار الإسلامي الإسلامي.

وقد عَقدتِ الأمانة العامَّة لمجلس حكماء المسلمين لقاءاتٍ موسَّعةً مع عددٍ من المرجعيَّات والرُّموز الدينيَّة، بالإضافة إلى عدَّة جولات في دول إسلاميَّة مختلفة؛ منها جولتان إلى العراق، تمَّ خلالهما لقاء عددٍ من المرجعيَّات وممثليهم؛ حيث تمَّ لقاء نجل آية الله العظمى السَّيِّد علي السيستاني، وممثِّل المرجعيَّة الدينيَّة العليا الشَّيخ عبد المهدي الكربلائي، وعددٍ من العلماء

والمراجع من السُّنَّة والشِّيعة وممثلين عنهم في النَّجف الأشرف وبغداد وغيرها من مناطق العراق.

كما شَمِلَ هذا التَّواصل علماء من مختلف أنحاء عالم المسلمين، يمثِّلون مختلفَ المذاهب الإسلاميَّة، ومن ضمنهم مرجعيَّات وعلماء من إيران ولبنان وغيرها، وتُوِّجَ هذا بانعقاد مؤتمر الحوار الإسلامي الإسلامي، الَّذي استضافته مملكة البحرين برعايةٍ كريمةٍ من جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، ملك مملكة البحرين، وبحضور فضيلة الإمام الأكبر أ. د. أحمد الطَّيِّب، شيخ الأزهر الشريف رئيس مجلس حكماء المسلمين، ومشاركة أكثر من ٤٠٠ من العلماء والمرجعيَّات والمفكِّرين من مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ، ونظَّمه الأزهر الشَّريف والمجلس الأعلى للشُّئون الإسلاميَّة بمملكة البحرين ومجلس حكماء المسلمين، وذلك خلال الفترة من العشرين إلى الحادي والعشرين من شهر شعبان لسنة 1446هـ الموافق: التَّاسع عشر والعشرين من شهر فبراير لسنة 2025 م.

وقد تُوِّجَ هذا المؤتمر بإطلاق هذا النِّداء: **"نداء أهل القبلة"**، الذي يُعدُّ تعبيرًا عن روح الوحدة والتَّآلف والتَّفاهم التي جسَّدتها مُخرجات هذا المؤتمر، وثمرة حوارات سبقَتْه، وأخرى جرت خلالَه، لبناء رؤيةٍ مستقبليَّة مشتركة، للتَّفاهم والتَّعاون بين أبناء الأمَّة الإسلاميَّة الواحدة.

المستشار محمد عبد السلام

الأمين العام لمجلس حكماء المسلمين

ديباجة

منطلقُ هذا النِّداء وروحُه هو: وحدةُ «الأمة المسلمة»، التي جعلها ربها أُمَّة واحدة، وأُمَّةً وسطًا، وارتضاها خيرَ أُمَّة أُخْرِجَت للناس؛ وهو المنطلقُ الثابتُ الصحيح -دائمًا- لترسيخ التوادِّ والتَّراحُم بين أبنائها وشعوبها، وتحقيق الأُخوَّة بين أهل القبلة.

وهذه الأُخوَّة من الرسوخ والتأصُّل بحيث تتجاوزُ حدَّ التقريب والتقارب فيما بينهم: لا في المكان؛ فقد عاش أبناؤها معًا قرونًا طويلة في انسجامٍ داخل مجتمعاتها وشعوبها، ولا في العقيدة والفكر والوعي: وهي تصدُرُ في كل ذلك عن مرجعيَّة واحدة هي: الوحي المُنَزَّل في القرآن الكريم، وفي الهَدْي النبوي الذي تركه لها رسولها الخاتم محمد ﷺ، واللَّذَين تأسَّست عليهما اجتهاداتُ علماءِ هذه الأمة ومراجعِها، وتفرَّعت عنها مدارسُها ومذاهبُها الأصولية والفقهية، ورفَعَت أعلامَها عاليةً في الخافقيْنِ وأثْرَت حياتها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية.

ونحن إذ نؤكد هذه الحقائقَ الثابتةَ، ونذكِّرُ بدلالاتها ومقتضياتها؛ فإنَّ نداءنا هذا لا يتجاهل أوجه الاختلاف المذهبي ولا أسبابه التي تقتضيه طبعًا ووضعًا، ومن ثَمَّ فإن هذا الاختلاف لا يشكِّل هدفًا من أهداف نداء اليوم ولا غايةً من غاياته، بل إننا نعلن منذ البداية أن الاختلافاتِ المذهبيةَ الفقهيةَ والعقديَّةَ أمر مشروع لا مِساسَ به من قريبٍ أو بعيدٍ، وأن أي محاولة لصهر هذه المذاهب وصبِّها في مذهب واحد، أو تقريبها تقريبًا يطمسُ خصائصها ومميزاتها أمرٌ غيرُ ممكن ولا معقولٍ، ومن ثم فهو غير مطلوب.. وما يعلنه نداءُ أهل القبلة -اليوم- الذي حَظِيَ بإجماع أصحاب الرأي في هذا المؤتمر – هو: أن يَعِيَ أبناءُ الأمة الإسلاميَّة

المقوماتِ الضروريَّةَ التي تمكِّن هذه الأمة من استعادةِ نهضتِها وحضورها الفاعل على المستوى الإسلامي والعالمي..

إن وحدة الأمة الإسلامية عهدٌ موثوقٌ وميثاقٌ مصونٌ، لا يجوز أن يكون موضع مساومة أو تفريط. فهي يقينٌ يستوجبُ استحضارَه في الوعي، وتجسيدَه في السلوك، وترسيخَه في المناهج والخطاب، ليظلَّ صرحًا سامقًا يحتضن تعددَ المكوّنات، ويرتفع فوق الاعتبارات القُطرية والعرقية والطائفية، لا تفرِّقه النزعات ولا تفتُّ في عضُدِه العوارضُ.

مقومات الحفاظ على الأخوة الإسلامية

انتهى مؤتمر الحوار الإسلامي الإسلامي بالبحرين، وبعد النقاش العميق إلى أن مقوِّمات الحفاظ على الوحدة الإسلامية تتمثل في نقاط أساسية بيانها كالتالي:

1- الحفاظ على الأخوَّة بين أهل القبلة، والإبقاء على أسباب التفاهم بين المسلمين والاهتمام بشأنها «عُلمائيًّا وإعلاميًّا»، مع إقرار شرعيَّة الاختلاف والتنوع المذهبي، بناءً على القاعدة الذهبية في تُراثِنا العظيم، والتي تقول: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذُرُ بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

2- تعزيزُ التفاهم العلمي والمذهبي بين علماء الأمة ومؤسساتها الأكاديمية ضرورةٌ إستراتيجية، تتطلب دعمَ الحوار الأكاديمي البنَّاء، وتوسيعَ آفاق اللقاءات العلمية، وإطلاقَ حرية البحث والاجتهاد، مع تسخيرِ جميع الوسائل المتاحة لترسيخ المشتركات المعرفيَّة. وفي مقابل ذلك، لا بد من يقظة دائمة إزاءَ مكائد التفرقة، وأصوات الفتنة، ودعاوى الخصومة، والتعامل معها بوعيٍ إستراتيجيٍّ مُحكَمٍ، باعتبارها تهديدًا كامنًا لوحدة الأمة وتماسك نسيجها الحضاري.

3- ما يحيق بالمسلمين -باعتبارهم أمة واحدة- من الأخطار، وما يُوجَّه ضدَّهم من ألوان الاستهداف، والعدوانِ المباشر عليهم، وعلى أرضهم ومقدساتهم، هو تحدٍّ مشتركٌ يتهدَّد

الجميع، ويسعى –دون ملل- لزرع الأشواك في طريق وحدتهم ونهوضهم. وهي أخطار ماحقة تُوجب علينا جميعًا - بل تفرض شرعًا وعقلًا- الالتقاءَ على كلمة جامعة، ورؤية موحَّدة تحقق التعاون والتضامُن بين شعوب الأمة ودولها؛ لتبقى أوطانها محميةً وأرضها محرَّرةً، ومقدساتها مصونةً محفوظةً.

4- علماء الأمة المجتمعون اليوم، في هذا البلد المضياف، قطعوا طريقًا مرهقًا وشاقًّا للوصول إلى لحظةِ الاتفاق على هذا النداء، «**نداء أهل القبلة**». وبلغوا –بحمد الله- لحظةً نتمنى على الله -سبحانه- ومن كل قلوبنا أن تكون نهايةً لطريق الخلاف والتنازع، الذي حذَّرنا منه المولى سبحانه في قوله: ﴿**وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الأنفال: 46]، والمخالفِ لرسالة رسولنا الكريم ﷺ إلى المسلمين كافة؛ فضلًا عن مخالفتها لهدي آل بيته الأطهار -عليهم السلام- وصحابته الأخيار -رضي الله عنهم، وأئمَّة الإسلام بمذاهبه ومدارسه كافة.

5- علماءُ الأمة ومرجعيَّاتُها الدينيةُ - مُمثَّلين في شيخ الأزهر، د. أحمد الطيب، رئيس مجلس حكماء المسلمين، مع إخوته العلماء من سائر مذاهب المسلمين؛ يستشعرون عِظمَ الأمانة التي تُطوِّق أعناقهم، وحجمَ المسؤولية، التي يتحمَّلونها في هذا الظرف خاصة، عن بيان حقيقةِ الإسلام لأبناء أمتهم، وواجب الأخوة فيما بينهم؛ وتحريم ما يمس مقوِّمات هذه الأخوة، أو يقطع رابطتها.

6- الانطلاق من القاعدة التي تنادي المسلمين كافَّة بأنهم أمة واحدة، وأن الولاء للمذهب أو الطائفة لا ينبغي، بل لا يجوز أن يكون مقدَّمًا على الولاء للأمة. وإن كان من مقتضى الأدب احترامُ مشاعر الولاء المشروعة، فإن الحكمة تقتضي ألا يصلَ الولاء إلى حدِّ التعصب الذي يهدِّد وحدة الأمة.

7- التذكير الدائم لعلماء المذاهب الإسلامية جميعًا، بمسئوليتهم أمام الله تعالى، وأمام الأمة، وأمام التاريخ، في واجب العمل بمقتضيات هذا النداء، والانضمام إلى «**نداء أهل**

القبلة»، الذي لا يهدف إلا إلى هدف واحد هو: خير المسلمين وخير العالم كله شرقًا، وغربًا، وسلامه وصلاحه.

مرتكزات الأخوة الإسلامية

ينطلق هذا النداء من عدد من المرتكزات، ويتقيَّد بها، وهي:

- القرآن الكريم والنبي الخاتم أساس الدين: فالقرآن كتاب الأمة الخالد، والنبي محمدٌ -صلى الله عليه وآله وسلم- خاتمُ الأنبياء والمرسلين، وهما مصدر الدين، ومنبع العقيدة، ومشكاة الرؤية، ومناط الرسالة التاريخية، وأساس وحدة القبلة والشريعة الخالدة. ومن المهم التأكيدُ على أن عصر النبوة الموثق في سيرة النبي ﷺ وسنته، كان مرحلة نموذجية في وحدة المسلمين.
- الاختلاف سنَّة كونية وحقيقة إنسانية: فالاختلاف بين البشر أمرٌ بديهيٌّ لا يحتاج إلى برهان؛ إذ هو سنَّة إلهية، وطبيعة بشرية، وقانون اجتماعي وتاريخي، ليس المسلمون استثناءً منه.
- الحرية شرط التكليف وجوهر المسؤولية: فقد منح اللهُ الإنسانَ حرية الفكر والعمل، وجعلها مناطَ تكليفه، وأساسَ تحمُّلِه للأمانة. وإذا كان القرآن قد كفل للإنسان حريةَ الاختيار بين الدين بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]، فإن أولويتها في التمذهب واختيار المنهج الديني أَولى وأوكدُ.
- التعددية المذهبية حقيقةٌ تاريخيةٌ: فهي سنةٌ مستقرةٌ في الأمة، وواقعٌ نشأ منذ القرن الأول الهجري، حينما اختلف المسلمون في الأحقية بالخلافة، ثم استمرَّ بفعل الملابسات التاريخيَّة التي قرأها الأسلافُ بوجهات نظرٍ متباينةٍ.
- التأكيد على مشروعية الاجتهاد من المؤهلين الدين يملكون شروطه ويلتزمون بضوابطه، باعتباره السبيل الأوحد لبلوغ الحق: فالتعدد المذهبي في جوهره لم يكن إلا

انعكاسًا لحركة الاجتهاد السَّاعية إلى إدراك الصواب، وتجسيدًا لما تفرضه الأصول الشرعية والقواعد العلمية من سعيٍ دؤوبٍ في طلب الحقيقة. فالاجتهاد ميدانٌ رحب للبحث لا ساحةٌ للصراع.

- التعدُّد المذهبي هو في الأصل تعبيرٌ عن نِشدانِ الجميع للحقِّ، وثمرةٌ لسعي كلِ مدرسة من مدارس المسلمين إلى موافقةِ ما دلَّ عليه الدليلُ وامتثالِه، وإلى الاجتهادِ في طلب صحيح الدِّين، بناءً على الأصول الشرعية والمواريث الأصوليَّة والكلاميَّة والفقهيَّة لكل مدرسة -كما هو معلوم-.
- الاختلاف المذهبي وتعدُّد الآراء والمواقف أمرٌ واقع داخل كل مدرسة من المدارس الإسلامية، فكثيرًا ما يتجلَّى التنوع في الآراء داخل المذهب الواحد بمقدار ما هو قائم بين المذاهب المختلفة، بل قد يتجاوزه في بعض القضايا، مما يؤكِّد أن الاختلاف ليس تفريقًا، بل هو ظاهرةٌ علميةٌ راسخةٌ لا تنقضُ عُرَى الوحدة، بل تُغْنيها وتُثْريها.
- الاحترام لا يثبت إلا بالتعارف: فإذا كان من البديهي والمشروع أن يتمسَّكَ أتباع كل مذهب بإرثهم الفكري والفقهي، المنطبع بظروف عصره ومُؤثِّراتِه المذهبيَّة، وسياقاته السياسية؛ فإن الاحترام المتبادل لهذا التراث وتعدُّديته، والتعامل مع هذا التنوع بروح الإنصاف والاحترام والاعتراف المتبادل، لهو من صميم احترام حريَّة الفكر والرأي، المنصوصِ عليها شرعًا، والمتفقِ عليها مصلحةً وعقلًا، والمُجمَع عليها من أهل العلم والحكمة والرؤية السَّديدة، وبحكم هذا النداء الجامع -بإذن الله-.
- المذاهب المعتمدةُ مدارس إسلاميةٌ، بينها بعض اختلاف، ولا ينبغي -بحالٍ- أن يكون تناقضًا ولا خصومة. فلا يصح أن يكون بينها إلَّا التعاونُ والتناصحُ، وإرادةُ الخير المتبادلةُ، والأخوة والوفاء.
- ثمة اتفاق على أن أمر النيَّات -كما هو مُقرَّر شرعًا في جميع المذاهب الإسلامية- هو لله تعالى وحده، وهو وحده سبحانه مَن يتولَّى الثواب والعقاب في الآخرة، وليس لأحدٍ كائنًا

مَن كان -علمًا أو مكانة- أن يتألَّى عليه -جل وعلا- ويحكم على مصير غيره ممَّن يُخالفه، أو يحاول إكراهَه أو التضييق عليه في الدنيا.

- الأولى بالمسلمين اليوم هو النظر إلى الحاضر والمستقبل، لا إلى الماضي الذي أفضى أهلُه لما قدَّموه بين يدي الله تعالى، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرٌّ، وعلينا أن نتذكر دائمًا أن مسؤولية علماء الأمة وحكمائها هي عن واقعهم ومستقبل حياتهم لا عن عمل أسلافهم، ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: 134].
- ما تقتضيه الحكمة وتفرضُه التحدياتُ التي تواجه المسلمين اليوم هو تحويلُ ما وقع في تاريخهم من انكساراتٍ وصراعاتٍ إلى درس نافع وخبرة دافعةٍ للوحدة والنهوض، وقراءة جديدةٍ ودقيقة لواقع الأمة ومستقبلها.
- الحوار فضيلة إسلامية أسَّسه كتاب الله تعالى، وبيَّن منهجَه، وحصره في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار مع أصحاب الرؤى الأخرى بالتي هي أحسن، وهو مع أبناء الأمة الواحدة أولى وأحرى وألزم وأوجب.
- الحوار المقصود هنا، هو حوارٌ مع الذات؛ فيجب أن يتَّسم بالصدق والمكاشفة اللازمة، في محاسبة النفس ونقد الذات، وقد ركَّز الأزهر الشريف في دعوته التاريخيَّة للحوار الإسلامي الإسلامي في البحرين- عام 2022، على أن «تنُصَّ مقرَّرات هذا الحوار على وقف خطاباتِ الكراهيةِ المتبادَلة، وأساليب الاستفزاز والتكفيرِ، وضرورةِ تجاوزِ الصراعاتِ التاريخيةِ والمعاصرةِ، بكل أشكالها ورواسبها السيئة»، كما صدر أيضًا عن المرجعية العليا للشيعة في العراق التصريح التاريخي: «إن السُّنَّةَ أنْفُسُنا». وكذلك المرجعيات العلمية الدينية والعلمية المعتبرة.

وكذلك يؤكِّد هذا النداء أنَّ «المسلمينَ جميعا أنفسُنا»، كما قال تعالى ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾ [النور:61]، وأنَّ كلًّا منهم جزء من جسد الأمة الواحد، ومكون أصيلٌ من مكوناتها، بمذاهبها جميعا؛ ومن سائر المدارس الإسلامية.

- منطلق الحوار هو ثمرة الأصول المشتركة الجامعة بين هذه المدارس، التي أقرَّت هامشًا للاختلاف في النظر، والتعدُّد في الفهم، مع الاعتصام بالقرآن الكريم والمتفق عليه من سُنَّة خاتم المرسلين، وهدي سلف الأمة الصالحين من الآل والأصحاب والأئِمَّةِ المُتَّبَعِين؛ دون تعسُّف في التأويل، أو خروج عن مقتضيات لسانِ الوحي العربيِّ المبين، وفقَ أصولِ الدين الثابت، وكليَّاته ومقاصده الجامعة المشتركة.

  وبناءً على هذه الأصول: يجبُ العملُ على الانتقال من نفسيَّة الخِلَافِ التي تضيق عادةً بالمخالف، إلى ثقافة التنوع التي تَسَعُ الجميع، والالتزام بفقه التعدُّدية وآداب الحوار القرآنية السامية.

- من الضروريّ التأكيدُ على التوقف الفوري والضروري عن سبِّ رموز أي مذهب أو الإساءة إليهم، تصريحًا أو تلميحًا، منتبهين إلى تحذير الله تعالى المؤمنين من سب الآلهة الزائفة في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام: 108]، وطُبِّقَ هذا المنهج الأخلاقي الرشيدُ في سنَّة النبي ﷺ، وهو مذهب آله وأصحابه، ومنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرَّم الله وجهه- إذ كَرِهَ لأهل العراق أن يسبُّوا أهل الشام، حتى عندما كانوا معه في حربٍ وصراعٍ، بل قال عن الخوارج مع اعتدائهم عليه وعلى أصحابه: «إخواننا بَغَوا علينا».

- إنَّ الإساءةَ إلى المسلم بأي صورة؛ بسبب مذهبه، أو عرقه، أو لغته، أو قوميته، أو آرائه، أو مواقفه التاريخية، أو اجتهاداته الفكرية، أو الفقهية، محرَّمٌ بالإجماع؛ فكيف -إذن- بالاعتداء الأشد؛ كالقتل والتهجير، وغيرها من صنوف العدوان على الأموال، والبيوت والحرمات؟! وهذا حديث النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-الصحيحُ من روايات جميع المذاهب، نصٌّ آمِرٌ للمسلمينَ كافة بأن «لا تحاسَدُوا، ولا تناجَشُوا، ولا تباغَضُوا، ولا تدابَرُوا، ولا يَبِعْ بعضُكمْ على بيعِ بعضٍ، وكُونُوا عبادَ اللهِ إخوانًا، المسلِمُ أخُو المسلِمِ، لا يَظلِمُهُ ولا يَخذُلُهُ، ولا يَحقِرُهُ. كلُّ المسلِمِ على المسلِمِ حرامٌ: دمُهُ، ومالُهُ، وعِرضُهُ».

- إنَّ السعيَ من جانب البعض في تغيير أتباع مذهبٍ إسلاميٍّ وجَرّهم إلى مذهبهم؛ ليتوافقوا معهم، والعملَ لذلك ببذل الأموال وتوجيه الدعاة، وإقامة المؤسسات، كل أولئك لا خيرَ للأمة فيه، بل هو سببٌ لاندلاع فتن، ولتفجّر صراعات داخلية في المجتمعات المسلمة، لا تَخفى على أحد، ولا يفيدُ منها إلا العدو المتربص.

وليتأمَّلْ هؤلاء المبلغون والدعاة -بهدوء- في الخير أو المصلحة التي يمكن أن يحققها تغيير فردٍ أو مجموعةٍ مذهبَها، وما الذي يضيفُه إلى مذهب آخر يتحول إليه؟ وما يمكن أن يترتَّب على استحداث فئة مذهبية جديدة، داخل مجتمعات مستقرة، أو دول مسلمة قائمة على مدرسة أو مذهب ما عبر التاريخ، قام عليه استقرارها واجتماعها؟!

إن ذلك، فضلًا عن أنه مَدعاة فتنة وسبب نشوب التوترات بين المسلمين، وتَجَدُّدِ الصراعِ داخل مجتمعاتهم ودولهم -هو عبثٌ لا طائل منه، ولن يُغيّر في تديُّن الأمة أو واقعها شيئًا، ولا في خريطة المذاهب المستقرة داخل بلدانها قليلًا ولا كثيرًا.

- إن الاستجابةَ للدعوة القرآنية العامة إلى التعارف بين الأمم، تسبقُها من جهة الأولوية، الدعوةُ للتعارف بين مدارس المسلمين أنفسهم؛ وإنَّ إزالة الحواجز النفسية بين المسلمين، من أتباع المدارس المختلفة، وإزالة الأوهام المتبادلة، الكامنة في الصور النمطيَّة عن بعضهم البعض- أمر لا سبيل إليه إلا بالتواصل والتعارف المباشر فيما بينهم، من خلال معرفة اجتهادات علمائهم المعتبَرين، وتدارُس إنتاجهم العلمي والفكري، في المناهج الدراسية الدينية ومؤسسات التعليم الشرعي.

وذلك السعي الواجب شرعيًّا وحضاريًّا وفكريًّا، تعوقُه -ويا للأسف- عملياتُ التبشير بمذهب معيَّنٍ، في وسطِ مجتمعاتٍ لا انتشار له فيها، فتسدُّ الطريقَ على دعاة التعارف والتعاون من المخلصين لدِينهم وأمَّتهم.

- نوقنُ أنَّ أفعالَ بعضِ المنتسِبينَ إلى بعض المذاهب، من تصرُّفاتٍ أو ألفاظ غير لائقة، لا يمكن أن تشكِّل إضافةً إيجابيةً، لا إلى مذاهبهم، ولا إلى علمائهم. وإنَّ مواقف بعض

الوعاظ أو الخطباء والمبلِّغين الذين لم يتوافر لهم علم كافٍ بأحوال أمتهم وواقعها، ممَّن يعيشون في بيئات ومجتمعات لا معرفة لها بمُكوِّنات الأمة المختلفة، ولا يدركون واقع الأمة ولا تطوُّراته وتعقيداته، كل ذلك يُؤدِّي إلى إطلاق أحكامٍ سلبيَّةٍ متسرعةٍ، غير مُنصفةٍ، وتعميمات معينة تُمثل -بدورها- خطَرًا على نسيج الأمة الواحد وتُعَدُّ تهديدًا لسلامته وانسجامه، حاضرًا ومستقبلًا.

مبادئ وقيم لتحقيق الأخوة الإسلامية

اهتداء بالمنطلقات السابقة، يؤكِّد نداء أهل القبلة، أن تحقيقَ هذا النداء لغايته، وبلوغِ هدفه، من حيث استعادةُ روح الأمة الواحدة حقًّا، يحتاج إلى التذكير بعددٍ من المبادئِ الكليَّةِ، والقيم الحاكمة، والإجراءات الواجبة، التي ندعو إليها مخلصين مُلحِّين، وهي:

- **أوَّلًا:** التفاهم والتعاونُ على تحقيق مقتضيات الأخوة بين أهل القبلة واجبٌ ينبغي أن يسعى إليه المسلمون جميعًا، على اختلاف مدارسهم وتعدُّد مذاهبهم، مُتمسِّكين بهذا المبدأ الأخوي الإيماني بين المؤمنين، وما يدعم وحدة أمتهم الإسلامية الجامعة إلى يوم الدِّين.
- **ثانيًا:** تجدُّدُ الخطاب الإسلامي ضرورةٌ لطرد الفتنة، وعزل الأصوات الغالية المتطرفة في كل مذهب من مذاهب المسلمين؛ تلك الأصوات التي تتشبَّث بخطابات التكفير والاستعداء، أو تُمارس السبَّ والإيذاء، ممزقة -من حيث تدري أو لا تدري- وحدة الأمة.

ولا بد لهذا التجدُّد من أن يقوم على أساس القيم المرجعية الموحِّدة للأمة، وهي التَّوحيد الخالص لله تعالى، الذي ارتضى لنا الإيمان بوحدانيَّته وبوحدة الأمة، حتى قيل إن جماع الإسلام في أمرين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة؛ والعمل على تزكية الإنسان ليكون أهلًا لتحمُّل الأمانة، واستخلافه لإقامة العمران داخل المجتمعات

والأوطان على هذه الأرض، وضمان العدالة -بشتَّى مراتبها- نظامًا شاملًا للعلاقات بين أفراد الأمة ومُكوِّناتها، وبين الناس جميعًا على المستوى العالمي.

- **ثالثًا:** التعاون المشترك بين المرجعيات الدينيَّة والعلميَّة والفكرية والإعلامية لنزع ثقافة الحقد والكراهية بين المسلمين، الَّتي أحدثت كوارث وخلَّفت مآسي في الأمة ما زالت آثارها ماثلةً، وعالقةً بأذهان الكثيرين، من أوجب الواجبات.
- **رابعًا:** لا يخلو التراث الفكري والثقافي في مدارس المسلمين جميعًا، من أخطاء، وأحكام اجتهاديَّةٍ لا تناسب زماننا ينبغي أن تُتَجاوز، وهو ما يقتضي حكمةً وجُرأةً في النقد الذاتي لبعض مقولات وآراء كل مذهبٍ، وإعلان الأخطاء وبيان الجهة التي صدرَ منها، حتى لو كان نقدًا لشخصيات مرجعيَّة لدى أتباع صاحب القول أو الرأي، والتراجع عنها إلى الحق الذي هو أولى بالاتباع، من كل رابطةٍ أو انتماءٍ.

وهذا ما يستوجب تخلِّيَ بعض العلماء عن شَخْصَنَةِ بعض الآراء والمواقف، التي تُضفَى عليها هالة من التقديس أو التعظيم، يحُولُ دون تجدد التفكير والمراجعة، ويمنع إعلانَ الحقائق، وتزكيةَ التواصل الذي تمَّ بالفعل، في حالات علماء ومراجع كبار معروفين من تلك المدارس، الذين واصلوا الاطلاعَ والتفكيرَ، ووسعوا فُرصَ الحوار والنقاش العلمي الصادق والمثمر، في كل المجتمعات المسلمة.

فالانفتاحُ المخلص والحوار النَّزيه، هما الواجب الملح والغائب بين أئمَّة مذاهب المسلمين اليوم ومرجعيَّاتهم العلميَّة؛ والواجب يفرضُ عليهم استئنافَ ما بدأه أئمة من أسلافهم السَّابقين، وعلمائهم الكبار المتبوعين من كافة المدارس الإسلامية، من مثل حضور المذاهب الإسلاميَّة كلها في مناهج الأزهر الشريف عبر تاريخه، واستمرار تدريس المذاهب الفقهيَّة الإسلاميَّة الثمانية في الأزهر الشريف إلى اليوم، وكذا اهتمام الحلقات العلمية في قُم والنجف، بدراسة الفكر السني، وفي سلطنة عمان واليمن وغيرها بالمذاهب الإسلامية المختلفة، إلى جانب المذهب الغالب على أهلها.

خامسًا: إن توجُّهَ العلماء ونخبةِ أهل الفكر والرأي إلى الانفتاح والتفاهم، هو السبيلُ الأنجع لتحوُّل الرأي العام من جماهير المسلمين إلى ذات الوجهة، نحو تجسيدِ معاني التفاهم والأخوَّة. فالأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى حوارٍ تتجدَّد وظائفه وفق أهداف مشتركة، يُعلي من مصلحة المسلمين اليوم وغدًا. ويقوم على التثبُّت في القراءة والمعرفة بالمخالف في المذهبِ، ويعتصم بتحرِّي صدق القول وتحرير الرأي المنسوبِ إلى ذلك المخالفِ، مع الإنصاف في الحكم عليه، أو تحديد الموقف منه. وتكريسِ ثقافة الاجتهاد الجماعي. وتفعيله من قبل المجامع ومؤسسات الإفتاء، لاستنباط أحكام توافقية في المسائل العامة المستجدة.

- **سادسًا:** إن الحوار الذي تحتاجه الأمة اليوم ليس سجالًا عقائديًّا يُعيدُ تشكيل هوية المسلمين، ولا محاولةً لتذويب مذاهبهم ومدارسهم الراسخة، بل هو حوارُ تفاهمٍ رشيدٍ، يرتكز على كشف مساحات الاشتراك الواسعة بين تلك المدارس والمذاهب الإسلاميَّة، الكافية لتأكيد وحدة الأمة، وكيفية استثمارها في مواجهة التحديات. وفي هذا السياق تضطلع مؤسسات الفتوى بدور مهم في صياغة الفتاوى الدينية التي تناقش القضايا المذهبية والخلافية، صياغةً سليمةً تجمع شمل الأمة الواحدة على النحو المنشود. مع عذر كل مذهب للآخَر في مساحات التعدد والاختلاف في الرأي. والالتزام الواجب على كل مسلم بآداب الحوار مع أخيه المسلم من كل مدرسة أو مذهب، بما يقتضيه ذلك من توقير الرموز وعدم الإساءة إليها، أو إلى الاجتهادات والآراء المختلفة.
- **سابعًا:** إن المؤسسات العلميَّةَ الإسلاميَّةَ الكبرى مدعوَّةٌ للعمل على مشروع علمي شامل، يُحصي كافَّة قضايا الاتفاق بين المسلمين في العقيدة والشريعة والقِيَم، وهي كثيرة مستمدَّة من مصادر الوحي الإلهي، وممتدَّة على مساحة واسعة من تراثهم الفكري والفقهي. تكون بمثابة "مَعْلَمة للوحدة الإسلامية". يشارك فيه السادة العلماء من السُّنة والشيعة والإباضية والزيدية، وهو مشروعٌ سيكون له الأثر الكبير في معرفة

الأمة بنفسها وغِنَى ميراثها، وإصلاح تصوُّر بعضها عن بعض، وتنمية ثقافتها وفكرها، وتعزيز دعوتها الإنسانية العالميَّة الواحدة.

- **ثامنًا:** من الضروريِّ اليوم إعلانُ علماء الأمة وفقهائها الوقوف بحزم، في وجه فوضى محاولات تغيير مذهبِ المسلم إلى مذهبٍ آخَر، باستغلال ضعفه أو جهله أو حاجته الماديَّة؛ أو إكراهه على ذلك، لما يترتَّب عليه من المفاسد والتنازع بين المسلمين.
- **تاسعًا:** ثَمَّ ضرورة قصوى لاستنقاذ رسالة الإسلام وخطابه، من التوظيف السياسي، ونوازع المصالح السياسية وضغوطها، وصراعاتها التي تبلغ بالبعض حدَّ الميل -في بعض الأحيان- إلى تحريف قِيَمِ الدِّين وأحكامه لاستثمارها في المصالح الآنيَّة الحزبية الضيقة، ووقف لغة التنابز، والإساءة للأحياء أو الأموات على السواء.

وفي هذا السياق، تتحمل الصحافة، والإعلامُ بمختلف وسائله - وخاصة منصات التواصل، والقنوات الفضائية - أمانةً عظيمةً ومسؤوليةً جسيمةً أمام الله وأمام أمَّتها، وخاصة تلك المسؤولة أمام الجماهير، عن إذكاء الصراع بين المسلمين وإثارة أسبابه ونوازعه.

- **عاشرًا:** هذا النداء مفتوحٌ أمام كافَّة مكونات الأمة ومذاهبها ومرجعياتها، للتوافق على ما فيه، وتبنّي مبادئه، والتعاون على الالتزام به.

أخيرًا: أنه لا يأس من واقع أمتنا الإسلامية أبدًا؛ فهي قادرة -بإذن الله- على الوحدة والنهوض، كما حدث مرارًا على امتداد تاريخها العريق، وكما ستفعل دائمًا -إن شاء الله- بتوجيه علمائها ومرجعياتها الدينية، وقياداتها المخلصة، الحريصة على استئناف دورها الحضاري في عالم اليوم، وأداء رسالتها للعالمين في كل عصر.

والله سبحانه وتعالى هو الموفِّق والهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.